مجلة الواحات للبحوث والدراسات
ELWAHAT Journal for Research and Studies
Available online at :https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2
المجلد 15 العدد1 (2022): 554 – 573 ISSN : 1112- 7163 EISSN: 2588-1892

إسهامات علماء تلمسان في ترسيخ عقيدة الإمام الأشعري في القرن التاسع الهجري

Contributions of the scholars of Tlemcen in establishing the doctrine of Imam al-Ash'ari in the ninth century AH

بوقنادل عبد اللطيف
جامعة وهران 1 أحمد بن بلة -الجزائر–
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية
مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا
boukenadel.abdellatif@univ-oran1.dz

تاريخ الاستلام: 14/03/ 2021. تاريخ القبول:20/09/2021 تاريخ النشر : 09/06/2022

الملخص:
تهدف هذه الورقة البحثية إلى بيان إسهامات علماء تلمسان في مجال العقيدة، وكانت حدود الدراسة فيه قاصرة على فترة زمنية معينة وهي القرن التاسع الهجري؛ حيث إن حاضرة تلمسان كانت مركز إشعاع حضاري ومدينة زاخرة بالعلم والعلماء، شهدت على وجود كم هائل من نتاج عقدي، تناثر ذكره في منوعات الكتب ومصنفات التراجم؛ توطيدا وترسيخا للفكر الأشعري، ولتحقيق ذلك الأثر وبيانه عقدت هذه الورقة البحثية التي انتظمت في ثلاثة مباحث؛ أبرزت أن إسهامات علماء تلمسان في مجال العقيدة هو تذييل المعارف وتسهيلها للناس على اختلاف مشاربهم وقدراتهم العقلية، وذلك بالترقي من حضيض التقليد إلى ذروة الاعتقاد واليقين.

الكلمات الدالة: تلمسان , الأشعري , العقيدة, السنوسي , الباقلاني.

المؤلف المرسل: بوقنادل عبد اللطيف:abdellatif@univ-oran1.dz

ABSTRACT:

This research paper aims to show the contributions of Tlemcen scholars in the field of doctrine "science of discourse", and the limits of study in it were limited to a certain time period which is the ninth century AH. Whereas, the city of Tlemcen was a center of civilization radiation and a city replete with science and scholars whitch testified to the existence of an enormous amount of nodal product, mentioned in various books and translations of scattered works; Consolidation and consolidation of the doctrine of Imam Al-Ash'ari To achieve this effect and its statement, this research paper was organized in three sections to show that the contributions of the scholars of Tlemcen in the field of doctrine is the appendix of knowledge and facilitating it for people of different backgrounds and mental abilities, by moving from the bottom of tradition to the height of belief and certainty.

Key words; Tlemcen, Al-Ash'ari, doctrine, Snoussi, Al Bâqillânî.

مقدمة:

تعتبر تلمسان إحدى أهم الحواضر العلمية في المغرب العربي؛ لما خلفته من آثار كبيرة، ظلت شاهدة على عمق ماضيها وعظم شأنها؛ فقد كانت مركز إشعاع حضاري ومدينة زاخرة بالعلم والعلماء؛ حتى وصفها المؤرخون بأنها غرناطة إفريقيا وجوهرة المغرب، ولقد أنجبت تلمسان فطاحل العلماء الذين ساهموا في مختلف العلوم والفنون، ومن أبرز العلوم التي تركوا لنا فيها تراثا ضخما وعطاء غزيرا؛ علم العقيدة–الكلام–، حيث إن هذه الحاضرة شهدت على وجود كم هائل من نتاج عقدي، تناثر ذكره في منوعات الكتب ومصنفات التراجم؛ فلم يحظ بجمع مستقل، مع الحاجة إليه...، وقد اهتم علماء تلمسان بعلم الكلام اهتماما كبيرا وأولوه من العناية والرعاية؛ والدافع والباعث وراء انتخاب هذا البحث أمور:

الباعث العلمي الموضوعي: وذلك لإبراز جهود أعلام تلمسان في القرن التاسع الهجري، والتي تنوعت من التأليف والشرح والتعليق إلى التدريس والتعليم؛ ومن أولئك الأعلام: الإمام ابن زاغ التلمساني 845هـ، والشيخ قاسم العقباني 854هـ، والإمام ابن زكري 900هـ، وغيرهم..؛ وأشهر هؤلاء الأعلام الإمام أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني الحسني 895هـ؛ ولا شك أن من أهم المقاصد العلمية الاتجاه لدراستها تعريفا وتوصيفا، تجميعا

وتعميقا، تقعيدا وتحقيقا...

الباعث الحضاري: ويستمد قيمته وأهميته باعتبار أنه حدد مظان اشتغاله بمكان معين، وهو حاضرة تلمسان.

الباعث الشخصي: وهو تعلقي بحاضرة تلمسان؛ باعتبارها بلد المنشأ، وما حبب إلي منذ الصغر من علمائها من جهة، ومن جهة أخرى الرغبة في البحث في فن علم الكلام ومسائله، وجمع ما تناثر من مظانه...

ومن الدراسات السابقة في الموضوع بحث للدكتور يوسف أحنانة بعنوان تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي؛ وهو بحث يستغرق جميع الفترات، غير أن هذا البحث مخصوص من حيث أفراده ومن حيث زمانه؛ يركز فيها على مدينة معينة هي تلمسان، ويبحث في مرحلة زمنية محددة هي القرن التاسع الهجري؛ وقد اعتمدت في هذا البحث على جملة من المناهج الخادمة للموضوع؛ نحو المنهج الوصفي، والمنهج الاستردادي، والمنهج التحليلي.

وقد انتظمت هذه الورقة البحثية في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تلمسان في القرن التاسع الهجري -المنحى التوصيفي-.

المبحث الثاني: المذهب الأشعري في المغرب الإسلامي بين التأسيس والترسيم.

المبحث الثالث: مصنفات علماء تلمسان العقدية في القرن التاسع الهجري وأثرها في ترسيخ الفكر الأشعري.

المبحث الأول: تلمسان في القرن التاسع الهجري -المنحى التوصيفي-:

المطلب الأول: الوضع السياسي والاجتماعي في تلمسان:

الناظر في السياسة العامة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري يتبادر إلى ذهنه أن من الطبيعي أن ينعكس ذلك الوضع السياسي الفاسد على الحياة العامة، ويطبعها بطابع الفوضى والاضطراب؛ وقد أزمعت كلمة المؤرخين على أن هذه المرحلة الزمنية شهدت ظروفا سياسية تبدو كلها صعبة، وهو ما أسموه بدور الضعف السياسي (بونار رابح، 2000، ص 299)حكم بني زيان، والتي امتد من سنة791هـ إلى سقوط الدولة سنة 957هـ؛ حيث أصبحت هدفا لسهام الملوك والسلاطين، فتكاثرت حولها الغارات، وفزع أهلها، ونشأ صغارها على العنف والاضطراب؛ يصف لنا صاحب بغية الرواد أن: "ما كان بين بني زيان وبني مرين، فيها وقائع شهيرة، وحروب مذكرة بما أنسى أيام الفجار"(ابن خلدون يحيى ،1911، ج1 ص 116).

-أهم الأحداث التي وقعت في القرن التاسع الهجري:

-في سنة 827هـ: زحف الحفصيين إلى مملكة تلمسان وتدخلهم في سياستها؛ يذكر لنا الزركشي أن تلمسان عادت عام 827هـ إلى قبضة الحفصيين مع السلطان أبي فارس، بحجة ميوعة أخلاق صاحبها عبد الواحد وعدم طاعته له ، فقلد أمور هذه المدينة إلى محمد بن أبي تاشفين الملقب بـ "أبي الحمرة"(الزركشي، 1966، ص 122).

_في سنة 833هـ: ثورة الأمير أبي عبد الله محمد الرابع الشهير بـ"أبي الحمرة" ،ونهايته التي كانت على يد سلطان تونس أبي فارس عزوز المتوكل، الذي حاصره في تلمسان، واضطره إلى الاستسلام(الجيلالي عبد الرحمن ، 1994، ج2ص208).

_وفي سنة 866هـ: تمكن الأمير محمد بن أبي ثابت المتوكل من الاستيلاء على تلمسان، و طرد عم أبيه أجمد بن أبي حمو، واستطاع أن يخضع القبائل العاصية لسلطانه.

_وفي سنة 868هـ: أعلن السلطان المتوكل استقلاله عن التبعية لبني حفص .

_وفي عام 870 هـ: بلغ الحفصيين سوء سيرة صاحب تلمسان، ونكثه للبيعة، فوجه السلطان أبو عمرو عثمان سلطان تونس جيوشه نحو العاصمة تلمسان، فقاتلوا أهلها، وهدموا أسوارها، وأجبروهم على إعلان الطاعة والتبعية لبني حفص (الزركشي، 1966، ص 157).

وعلى الصعيد الاجتماعي (الميلي المبارك ، 1963،ج2 ص 355) كانت الحكومة ترفع منازل الأشراف والفقهاء، وتداري أعيان القبائل وكبار التجار، وتحترس من العامة حتى لا تثور عليها، فتفرق بين زعمائها ليكونوا في حاجة دائمة إليها، وإذا تخوفت منهم عصيانا، أخذت منهم رهنا من أبنائهم على الطاعة(بونار رابح، 2000، ص 285).

وكان لزاما من ذلك، أن يختل الأمن، ويستفحل أمر اللصوص، فهذا الإمام الونشريسي(ت914هـ) الذي ارتحل عن تلمسان، بسبب ما وقع له من طرف السلطان، تنتهب داره بتلمسان في أوائل محرم 874هـ (التنبكتي، 2000، ص87)/ (الحفناوي أبو القاسم، 2012، ج1ص 554)، وهذا ابن قنفذ(ت810هـ) العالم الأصولي، يعتبر نجاته في رحلته من تلمسان إلى قسنطينة في أواخر القرن الثامن الهجري من خوارق العادات، وقد شخص العبدري(ت نحو725هـ) في رحلته إلى تلمسان الحالة المزرية التي وصلت إليها المدينة، حيث يقول: "ثم وصلنا إلى تلمسان، فوجدناها بلدة حلت بها زمانة الزمان، وأحلت بها حوادث الحدثان، فلم تبق به علالة، ولا تبصر في أرجائه للضمآن بلالة"(العبدري، 2007، ص27)؛ وقد نقل لنا الونشريسي في المعيار (الونشريسي، 1981،ج1ص170-171) أجوبة فقهاء تلمسان و فاس حول قضية يهود توات في بيعهم وكنائسهم، من ذلك جواب السنوسي، وابن زكري، والحافظ التنسي، وغيرهم؛ وقد تركت هذه الحادثة صدى بعيدا في

أرجاء المغرب العربي لذلك العهد بين علمائه (بوعزيز، ص 76– 77)، وخاصة لدى بعض فقهاء تلمسان و شعرائها.

حتى علل أحدهم رغبته في مغادرة تلمسان، بقوله: (المغيلي، 1968، ص 12– 14)

تلمسان أرض لا تليق بحالنا ولكن لطف الله نسأل في القضا.

وكيف يحب المرء أرضا يسوسها يهود وفجار ومن ليس يرتضى.

وهذا التوصيف لا يصور لنا الواقع الذي كان يربط شعوب شمال إفريقيا، فالعقيدة الإسلامية، ووحدة التفكير واللغة والدين، ووحدة المصير المشترك، وتشابه الطبائع والعادات والتقاليد والمصالح المشتركة والطبيعية والمناخ، كل ذلك دليل على أن عناصر الجمع والائتلاف هي الأصل، وقد نتفق مع المهدي البوعبدلي، عندما كتب يقول: "إن الوطنية الضيقة الحدود كانت مجهولة، إذ ذاك في كثير من بلاد الإسلام، حيث كان المسلم أينما حل، فهو في بلاده ووطنه...، فبهذه النظرة يمكننا أن نتصور عهد الحروب التي كانت متواصلة بين ملوك بني زيان ـــ ملوك تلمسان ـــ، وبني مرين ـــ ملوك المغرب ـــ ، ثم بينهم وبين ملوك بني حفص ـــ ملوك تونس ـــ ... "(الراشدي، 1973، ص9).

–**شيوع ظاهرة الابتداع والخرافات:** لقد أخذ السلوك الديني في التدهور، وكثرت بعض العادات المشوهة للإيمان، ككتابة الحجب والأحراز، ينقل لنا الملالي عن شيخه علي التالوتي أنه قال: "وقد كان نصر الزواوي أحد شيوخ السنوسي، ينهى عن استنساخ الآيات الكريمة في الحروز، وقد عاهد الله ألا يكتب شيئا منها في حجاب، وخاصة عندما مر يوما بمزبلة، فوجد فيها كاغطا مطوية فيه كلام الله مكتوب بخط يده ، ثم قال لي شيخنا التالوتي: يا محمدـــ الملالي ـــ لا تكتب القرآن في الحجب؛ لأن كثير من الناس لا يتحفظ عليه، لا سيما النساء"(ابن مريم التلمساني، 1908، ص295).

لذلك لا غرابة أن نجد العلماء يقفون ضد هذه البدع وقفة المصلحين الموجهين، فأسسوا بجهودهم حركة إصلاحية تغييرية، أساسها تربية المسلمين على مبادئ الإسلام، وإنكار ما فشا فيهم من انحراف وابتداع.

المطلب الثاني: الحياة العلمية والفكرية في تلمسان:

من الأقوال المأثورة قولهم: "كم نقمة في طيها نعمة"، وهي قولة تصدق ـــ إلى حد بعيدـــ على القرن التاسع الهجري، ولا يضرنا ههنا ـــ مادمنا بصدد تقرير هذه الحقائق ـــ، ماحكاه لنا أبو عبد الله العبدري عن تدهور وضعف العلم في تلمسان في القرن الثامن الهجري، حيث قال: "وأما العلم فقد درس رسمه في أكثر البلاد وغاصت أنهاره، فازدحم على السماد، فما طنك بها وهي رسم عفا طلله، ومنهل جف وشله، وقد حضرت بها مدرسا مذكورا عندهم،

يقرأ عليه باب التوكيد، فسمعته يقول: "كلا للمذكرين، وكلْتا للمذكرتين"، ثمّ ذكر أنه لم يجد بتلمسان سوى عالما مذكورا (العبدري، 2007، ص28)؛ وهذه حادثة حال، فيراعى فيها المقام الذي قيلت فيه، خصوصا وأن الرجل حكم على الحالة العلمية بتلمسان، من خلال رحلته التي لم تتجاوز إلا أياما معدودات استقر فيها بتلمسان.

ويشهد لذلك ما حكاه القلصادي في رحلته لما وصف تلمسان وأثنى على أعلامها: "ثم توجهنا إلى المقصودة بالذات، المخصوصة بأكمل الصفات،....، وأدركت فيها كثيرا من العلماء والصلحاء والعباد والزهاد، وسوق العلم حينئذ نافقة، وتجارة المتعلمين والمعلمين رابحة، والهمم إلى تحصيلها مشرقة، وإلى الجد والاجتهاد فيه مرتقية، فأخذت فيها بالاشتغال بالعلم على أكثر الأعيان المشهود لهم بالفصاحة والبيان"(القلصادي، 2011، ص117).

فإذا كانت الحياة العلمية قد نهضت في عهد بني حماد والموحدين نهضة شاملة، وأخذت مختلف العلوم والفنون في الانتشار والذيوع، فإن عصر بني زيان كان اكتمالا ونضجا لهذه العلوم (بونار، 2000، ص309) ، وكان عهد إنتاج وإسهام في شتى المجالات، ولا سيما الأبحاث الفقهية وما يتعلق بها، سواء في تلمسان أو وهران أو غيرها، حيث نبغ عدد كبير من الفقهاء والمحدثين والمفسرين والمتصوفة والكتاب والشعراء، ولعل من عجيب المفارقات أن تدهور الوضع السياسي لدولة بني زيان لم يكن معرقلا لازدهار العلوم بتلمسان؛ وقد تضافرت على ذلك الرقي والتطور في الحركة العلمية جملة من العوامل والأسباب التي ساهمت في ذلك الازدهار:

-بيوتات تلمسان العلمية:

إذ إن الملاحظ على أعلام القرن التاسع الهجري والقرن الثامن كذلك اختصاص بعض البيوت بالمعارف والعلوم، والأمر بحمل العلم وتوريثه كابرا عن كابر، كما هو ملاحظ في عائلة المرازقة والمقريين والعقبانيين وبيت الشريف وبيت أولاد الإمام وعائلة ابن زاغ ونحو ذلك من البيوتات الصغيرة (الميلي، 1963، ج2ص439)/ (بن داود، 2010م).

مناهج التدريس وطرق التلقي في القرن التاسع الهجري:

ما يمكن الجزم به أنه لم تكن ثمة طريقة واحدة متبعة، بل كانت هناك:

1_ **طريقة الإلقاء والتلقين:** حيث يعتمد المحاضر على طريقة الإلقاء والتلقين، ولا يخلط الأستاذ الحوار فيه إلا نادرا، وقلّما يجد الطالب فرصة لمناقشة أستاذه، وقد دلنا على الأخذ بهذه الطريقة بالنسبة للمغاربة، ما حكاه لنا أبو العباس أحمد الغبريني، حيث يقول: "وكل ذلك على إتقان وتحصيل وجودة، وتفريع وتأصيل، وإجمال وتفصيل، وإيراد الأمثلة والجمع والفرق، وغير ذلك مما جرت العادة بإيراده عند أفاضل الفقهاء وأكابر العلماء، إما بالمذاكرة

والمباحثة، أو إلقاء الأسئلة وإيراد المشكلات، وحل العضلات، فوقعت الاستفادة بذلك عن كثير من أشياخي رحمهم الله "(الغبريني، 1910، ص335).

فهذا ابن زكري (ت900هـ) مفتي تلمسان وإمامها، كان يكرر المسألة الواحدة ثلاثة أيام أو أربعة، حتى يفهمها الخاص والعام (التنبكتي، 2000 ص84)/ (ابن مريم، 1908، ص41)، وكان الحسن بن أبركان(ت 857هـ)شيخ السنوسي يقرئ الرسالة ومختصر ابن الحاجب، يبدأ أولا بإيضاح صورة المسألة حتى يفهمها كل أحد، ثم بعد ذلك يتوسع في كلام الشراح، ويبحث معهم، ثم بعد ذلك ينقل من الأمهات والدواوين الكبار كاللخمي وابن رشد والنوادر[لابن أبي زيد القيرواني] يحقق به فقه المسألة (التنبكتي، 2000 ص78)/ (ابن مريم، 1908، ص87).

2_ **طريقة الإلقاء والحوار**: وقد استفادت تلمسان من مناهجهم، حيث كانوا يستعملون طريقة الإلقاء والحوار في محاضراتهم ودروسهم، وتعتمد على التوسع في بحث الموضوع، وقد شكر ابن خلدون هذه الطريقة وأثنى عليها الثناء الحسن؛ لأنها طريقة تشحذ وتفتح الذهن وتطلق اللسان، وتبذر الحيوية في نفوس الطلاب، وقد كان أكابر العلماء يستحسنون هذه الطريقة والمنهاج، حيث يتولى الأستاذ مهمة الإشراف والتوجيه، ولاسيما مع الطلبة النجباء، كما فعل ابن زكري(ت900هـ) حين ورده سؤال من بلدة بعيدة، ولم يجد فيه نصا، حتى تردد على تلامذته، ليوفق للجواب تلميذه النجيب أحمد بن الحاج، الذي استحق جائزة ابن زكري وإجازته له (ابن مريم، 1908، ص18–23).

–عناية الملوك والسلاطين بالعلم والعلماء:

إن من مظاهر اهتمام السلاطين بتفعيل وتنشيط الحركة العلمية إحياء دور التعليم والعناية ببناء المدارس، وكان من حظ تلمسان أنها ورثت مجموعة لا بأس بها من المدارس ذات المستوى العلمي الكبير، شيد الزيانيون أغلبها خلال فترات متعاقبة ، وقد أشار يحي بن خلدون إلى هذه المدارس ووصفها بقوله: "والمعاهدة الكريمة"(ابن خلدون يحي، 1911، ج1ص86)، ووصفها الحسن الوزان بأنها: "حسنة، جيدة البناء، مزدانة بالفسيفساء، وغيرها من الأعمال الفنية، شيد بعضها ملوك تلمسان، وبعضها ملوك فاس" (الوزان، ج2 ص19).

ومن أشهر المدارس:

أ_ مدرسة ولدي الإمام: وسبب بنائها أن ولدي الإمام محمد بن عبد الله التلمساني، وهما: أبو زيد عبد الرحمن (ت743هـ)، وأبو موسى عيسى (ت749هـ)دخلا تلمسان في عهد السلطان أبي حمو موسى الأول، فأكرمهما، وابتنى لهما هذه المدرسة، التي سميت باسمهما"(ابن خلدون يحي، 1911، ج1ص71–72)/ (الجيلالي عبد الرحمن ، 1994، ج2ص249).

ب_ المدرسة التاشفينية : بناها عبد الرحمن أبو تاشفين، بجانب الجامع الأعظم، وعين بها مدرسين، من كبار العلماء من أمثال أبي موسى المشدالي، وكانت هذه المدرسة تحفة فنية رائعة، وصفها المقّرى الحفيد بأنها من بدائع الدنيا (المقري، 1949م، ج6ص47)/ (الجيلالي عبد الرحمن ، 1994، ج2ص249).

ج_ مدرسة أبي الحسن المريني بالعباد ، بناها أبو الحسن المريني في منطقة تسمى بالعباد سنة 748هـ، وذلك أيام استيلاء المرينيين على المغرب الأوسط(الجيلالي عبد الرحمن ، 1994، ج2ص249).

د_ المدرسة اليعقوبية: أسسها السلطان أبو حمو موسى الثاني، على ضريح والده يعقوب، وعمه أبي سعيد وأبي ثابت، وتم تدشينها في شهر صفر765هـ، وقد احتفل السلطان واعتنى بها، وأكثر عليها الأوقات، وكان الإمام أبو عبد الله الشريف التلمساني(ت771هـ) واحدا من أكابر مدرسيها (ابن مريم، 1908، ص43)/ (الجيلالي عبد الرحمن ، 1994، ج2ص249).

ولقد كان يختار لهذا المدارس علماء كبار، حتى إنه يمكننا القول، بأنها كانت بمثابة جامعات كبيرة، ومن ثم، فلم يكن يلتحق بها من الطلبة، إلا الذين فرغوا من مراحل الدراسة الأولية في الكتاتيب والزوايا والمساجد.

والحاصل أن التنافس بين السلاطين الزيانيين كان باعثا في استقدام العلماء والتجمل بهم في مجالسهم، والاستنارة من معارفهم، وتقريب العلماء والأدباء وتشجيعهم، وحثهم على الكتابة والتأليف وسائر النشاط العلمي بشتى التشجيع والإغراء؛ مما كان له الأثر المحمود في علوم الشرع واللغة وغيرهما من العلوم، حتى ترك لنا علماء هذا العصر _القرن التاسع الهجري_ تراثا علميا كبيرا، لا تزال الأجيال تتوارثه.

ويشهد لذلك ما ساقه ,كتبه الدكتور أبو القاسم سعد الله عن الإنتاج العلمي للقرن التاسع الهجري في عهد الزيانيين، حيث قال: "يعتبر إنتاج القرن التاسع من أوفر إنتاج الجزائر الثقافي، ومن أخصب عهودها بأسماء المثقفين أو العلماء، والمؤلفات، وفي إحصاء سريع أجريته لأسماء العلماء المنتجين خلال القرن التاسع والعاشر والثاني عشر، وجدت أن عددهم في القرن التاسع يفوق أعدادهم في القرون المتبقية متفرقة...، وكثير من إنتاج القرن التاسع ظل موضع عناية علماء القرون اللاحقة"(سعد الله، 1998، ج1ص25)؛ وقد تصدرت مدينة تلمسان في هذه الفترة المركز التعليمي الأول في المغرب العربي، إذ اجتمع فيها من الأسباب الباعثة على النهوض الثقافي ما لم يهيأ لغيرها، وأبرز وجوهها العلمية أواخر القرن التاسع، تمثلت في ثلاث شخصيات علمية بارزة وهم: الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي، وأحمد ابن زكري، ومحمد بن يوسف السنوسي، لقد خرج أحمد ابن داود البلوي

الأندلسي من تلمسان وهي تعج بالعلماء، وعندما سئل عنهم قال: "العلم مع التنسي والصلاح مع السنوسي والرياسة مع ابن زكري"، وسأقتصر في هذا البحث على ما تعلق بالعقيدة وعلم الكلام مبرزا إسهامات علماء تلمسان في هذا المجال المعرفي.

المبحث الثاني: المذهب الأشعري في المغرب الإسلامي بين التأسيس والترسيم:

قد عرف أهل تلمسان بله أهل المغرب عموما المذهب الأشعري في وقت مبكر؛ ولعل من أبرز الأعلام الذين كان لهم فضل السبق للتعريف بالأشعرية في المغرب أبو ميمونة درَّاس بن إسماعيل الفاسي(ت357هـ)، فقد رحل إلى المشرق والتقى بأئمة الأشعرية وأخذ عنهم، وكذا إبراهيم بن عبد الله الزبيري المعروف بالقلانسي(ت359هـ)؛ والمعروف بمواقفه القوية ضد الشيعة حتى إنه أوذي في ذلك، وقد ذكر البرزلي(ت844هـ) نقلا عن ابن بزيزة من كتابه الإسعاد في شرح الإرشاد أن القلانسي كان من مشايخ الأشعرية بالقيروان وكبار أئمتها، ونسب إليه بعض الآراء والمقولات التي انفرد فيها في علم الكلام كالكلام عن الجهة وغيرها (البرزلي، 2002، ج1ص378).

والترصد التاريخي لتأثير الفكر الأشعري في بلاد المغرب يقودنا إلى فحص واقعه العقدي والمذهبي، فقبل ترسيم المذهب الأشعري مع دولة ابن تومرت، كانت هناك جوانب من إرهاصات التأثير بعد أن كان محصورا عند الشافعية؛ إذ إن أبا الحسن الأشعري(ت324هـ) كان شافعيا، غير أن هناك عوامل كانت سببا لامتداد العقيدة الأشعرية إلى أوساط المالكية؛ ومن تلكم المتجليات:

المتجلى الأول: الإمام الباقلاني(ت403هـ)

حيث كان لظهوره في المشرق كحامل للواء الأشعرية الأثر الكبير في نشر مذهب الإمام الأشعري في المغرب؛ ومن أهم بواعث إقبال الناس عليه أنه كان أشعريا في الأصول مالكيا في الفروع؛ ومن أجل ذلك أقبل عليه طلبة العلم من المغرب يأخذون عنه المذهب المالكي وطريقة الأشعري في آن واحد، وكانوا يستشيرونه في المسائل والنوازل (التهامي، 2006، ص14)؛ كما اشتهرت ببلاد المغرب بعض كتب الباقلاني كرسالة الحرة المطبوعة باسم الإنصاف؛ والتي كانت متداولة بين طلبة العلم.

ومن أشهر المغاربة الذين أخذوا عن الباقلاني وساهموا في التعربف بعقيدة الأشعري:

-الإمام عبد الجليل بن أبي بكر الربعي المعروف بالديباجي وبابن الصابوني؛ فقد صحب الباقلاني مدة ثم رجع إلى المغرب وألف رسالة في الاعتقادات(ابن الأبار،1995، ج3ص133).

-الإمام أبو عمران الفاسي(ت430هـ)؛ فقد رحل إلى بغداد وتلقى أصول المذهب عن الباقلاني، وقد حكى لنا ذلك بقوله: "رحلت إلى بغداد فلما حضرت مجلس القاضي أبي بكر الباقلاني،

ورأيت كلامه في الأصول والفقه والمؤالف والمخالف حقرت نفسي، وقلت لا أعلم من العلم شيئا ورجعت عنده كالمبتدئ" (عياض، 1967، ج2ص587)، وقد كان لشخصية أبي عمران الفاسي مكانة في نفس الباقلاني، والذي أعجب بذكائه وقوة ورسوخ حفظه، ولما رجع إلى القيروان وجلس بها وظهر علمه بها قصده الناس من كل جهة.

ومن أشهر تلاميذ الباقلاني الوافدين على المغرب الحسين بن عبد الله بن حاتم الأذري؛ والذي بعثه الباقلاني إلى دمشق ثم بعده إلى المغرب فقد حل بالقيروان واستوطن بها إلى أن مات بها، وذلك لنشر عقيدة الأشعري؛ وسبب وروده إليها رفع راية التوحيد، وبيان كيف ينزه المعبود وينفى عنه التشبيه والتحديد؛ يقول القاضي عياض: "فكان من كبار الأشاعرة النازحين إلى المغرب أبو عبد الله الأذري تلميذ القاضي الباقلاني" (عياض، 1967، ج2ص586).

ومن أبرز العلماء الذين ساهموا في ترسيخ عقيدة الأشعري وتعليمها بالغرب الإسلامي الإمام أبو ذر الهروي(ت434هـ)؛ فقد نقل ابن تيمية عن الحسين بن أبي أمامة المالكي أنه قال: سمعت أبي يقول عن أبي ذر الهروي إنه أول من حمل الكلام إلى الحرم، وأول من بثه في المغاربة(ابن تيمية، 1991، ج2ص101)، وترجم له الذهبي بأنه أخذ الكلام ورأي أبي الحسن الأشعري عن القاضي أبي بكر بن الطيب، وبث ذلك بمكة، وحمله عنه المغاربة إلى المغرب والأندلس، وقبل ذلك كان علماء المغرب لا يدخلون في الكلام، بل يتقنون الفقه أو الحديث أو العربية، ولا يدخلون في المعقولات(الذهبي، 1985، ج17ص557)/ (ابن كثير، 1988، ج12ص64).

وقد ذهب بعض الباحثين إلى القول بأن ظهور بذرة الأشعرية في بلاد المغرب كان نتيجة الحاجة إلى طرائق الاستدلال التي اشتهر بها الأشاعرة في جدال الفرق المختلفة كالخوراج والمعتزلة والمرجئة وغيرها..؛ خصوصا بالقيروان التي كانت نقطة للإشعاع العلمي على كافة أنحاء المغرب والأندلس(عبد المجيد النجار، 1983، ص433).

المتجلى الثاني: إمام الحرمين الإمام أبو المعالي الجويني(ت478هـ)

وقد كان له تأثير بارز في نشر مذهب الأشعري بالمغرب، فقد لقيت كتبه ومصنفاته رواجا كبيرا وافتتن بها المغاربة أيما افتنان، وأقبل علماء المغرب على كتبه، وبخاصة كتابه الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، واعتنوا به شرحا وتدريسا، ومما زاد في شهرة مصنفات الجويني الإمام أبو بكر بن العربي(ت543هـ)، وهو الذي رحل إلى المشرق ولقي أعظم تلاميذ الجويني الإمام الغزالي (ت505هـ)، حيث أخذ عنه طريقته في الإرشاد (ابن تيمية، 1991، ج2ص102)، يلخص لنا ابن خلدون رحمه الله دور الجويني وأهمية كتبه بقوله: "وأما محاذاة طريق السلف بعقائد علم الكلام، فإنما هو الطريقة القديمة للمتكلمين، وأصلها كتاب

الإرشاد وما حذا حذوه"(ابن خلدون، ص516).

وقد تأثر به متكلموا تلمسان والغرب الإسلامي عموما، واعتبروه مدخلا إلى علم الاعتقاد، حيث أضحى محور المعتقد الأشعري ومقررا للتدريس، وبقي أثر ذلك إلى زمن العقباني والسنوسي من بعده.

وقد نشطت حركة التأليف في علم الكلام وكثرت الشروح والتقييدات على كتابه الإرشاد.

المتجلى الثالث: المهدي بن تومرت (ت524هـ)

وقد وصف لنا المراكشي حال أهل المغرب قبل ابن تومرت وعداءهم لهذه العلوم، فقال: "ودان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام"(المراكشي، 1963، ص236–237)، فلم تعرف الأشعرية في المغرب كمذهب يتمذهب به عامة الناس وخاصتهم إلا بعد رجوع ابن تومرت من رحلته المشرقية وتأسيسه لدولة الموحدين وتغلبه على المغرب؛ فقد أقبل علماء المغرب على المذهب الأشعري وتقريره وتحريره درسا وتأليفا وإن كان قد ظهر بالمغرب قبل ابن تومرت فظهور ما(الناصري، 1998، ج1ص63) ؛وأما قوله: "ظهور ما" إشارة منه إلى إرهاصات التأثير، وأما ترسيم المذهب فكان بقدوم ابن تومرت؛ وهناك نصوص كثيرة تحوم حول هذا المعنى (الذهبي، 1985،ج19ص540–541)؛ فقد حملهم على القول بالتأويل والأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد، وألف مصنفه المشهور في العقيدة الموسوم بالمرشدة في العقيدة، التي اشتهرت ووضعت عليها تقييدات وتعليقات وشروحات في القرون الموالية؛ كشرح السنوسي على مرشدة ابن تومرت(الملالي، ص292).

المتجلى الرابع: الإمام أبو عمر عثمان السلالجي(ت574هـ)

وكانت له اليد الطولى في النهوض بالمذهب الأشعري؛ فقد نبغ في علم الكلام وكثر طلابه الذين أخذوا عنه العقيدة الأشعرية؛ إذ إنه كان على خبرة وبصيرة بكتاب الإرشاد، حتى إن بعض المؤرخين رفع درجته في علم الكلام إلى درجة أبي المعالي في المشرق، ولقبه البعض بإمام أهل المغرب في علم الاعتقاد، وأنه الأوحد في علم الكلام (ابن الزيات، 1984، ج1ص194)/ (ابن الأحمر إسماعيل، 1972، ص45)؛ وقد اشتهر مصنفه الموسوم ب: "العقيدة البرهانية في علم الألوهية"، الذي عرف انتشارا واسعا في المغرب العربي، وأقبل عليه العلماء شرحا وتدريسا؛ حيث استطاعت بسط هيمنتها نظرا لبساطتها ولتمثيلها للمعتقد الأشعري في صفائه ونقائه.

المتجلى الخامس: الإمام أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي(ت895هـ)

بعد أن عرف علم الكلام جمودا فكريا في القرن الثامن الهجري عندما غلب التقليد وقصرت الهمم عن التجديد، جاء السنوسي ليؤكد على مبدأ انمازت به المدرسة الأشعرية المغاربية على

العموم؛ وهو ترك التقليد في أصول الدين، ولا شك أن أعلميته وسلامة منهجه الإصلاحي والتربوي دفعت الكثير من العلماء إلى الإشادة بمصنفات السنوسي في التوحيد خصوصا؛ فقد غربل علم الكلام، وصف الإمام المقري الحفيد عقائد السنوسي بالشهيرة، وقال ابن عسكر:" وتآليفه تدل على تحقيقه وغزارة علمه، وعقائده الخمس وشروحاتها من أفضل ما ألف في الإسلام"، وذكر مخلوف أن عقائده لا يعادلها شيء من العقائد"(مخلوف، 1349هـ، ص266)، حيث إن مصنفاته كثيرة في العقيدة: الكبرى والوسطى والصغرى وصغرى الصغرى، ووضع عليها شروحات، فاشتهرت مؤلفاته وانتشرت انتشار النار في الهشيم، وأصبحت هي معتمد المغاربة، وكثرت الحواشي والشروح والمختصرات، وأقبل الناس خصوصا على العقيدة الصغرى المعبر عنها بأم البراهين، أو عقيدة السنوسي أو متن السنوسية، والتي استطاعت أن تحقق مقاصد جليلة في تعريف الناس بمعتقداتهم تعريفا صحيحا يتماشى ومستوى التحصيل، وقد دشن السنوسي بذلك مرحلة جديدة في تاريخ الفكر الأشعري بالمغرب الإسلامي لتكون عقائده هي المرجع والسند لمن بعده (أحنانة، 2007، ص229).

وخلاصة القول أن انتشار المذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي قد مر بمراحل؛ بدءا بمرحلة التأسيس التي يؤمها دراس بن إسماعيل والإمام القلانسي، فمرحلة التمكين التي كان للقاضي الباقلاني الدور الأبرز فيها ومن بعده الجويني، وأخيرا مرحلة الترسيم والاستقرار زمن ابن تومرت والسلالجي وأخيرا المرحلة السنوسية.

فهذه جملة من العوامل التي انمازت بالتعدد والتردد على جوانب سياسية واجتماعية ومذهبية ساهمت في اتساع هيمنة المذهب الأشعري ورسوخه وانتشاره؛ فصار المشرب واحدا في بلاد المغرب العربي، وتفتح العقل المالكي المغاربي لطروحات المذهب الأشعري في الأصلين أصول الدين وأصول الفقه.

المبحث الثالث: مصنفات علماء تلمسان العقدية في القرن التاسع الهجري وأثرها في ترسيخ الفكر الأشعري

لقد كان لعلماء تلمسان إنتاج فكري سعوا من خلاله إلى ترك آثارهم بالمساهمة في الحركة العملية في القرن التاسع الهجري وذلك في جميع مجالات المعارف والعلوم؛ وسنقتصر على مجال واحد هو مجال العقيدة وعلم الكلام، ومن أولئك الأعلام الذين أدلوا بدلوهم:

الإمام أبو عثمان سعيد العقباني(ت811هـ)شارح المنقول والمعقول، وعلى كثرة انشغالاته التعليمية والقضائية، فقد ترك مصنفات كثيرة في فنون عديدة؛ ومن أبرز مصنفاته في علم الكلام ترسيخا لعقيدة الأشعري: شرح العقيدة البرهانية في أصول الدين(ابن مريم، 1908، ص105)/ (التنبكتي، 2000، ج1 ص204)؛ وتوجد نسخة مخطوطة منه بالمكتبة الوطنية

بالحامة الجزائر، ضمن مجموع تحت رقم: 2761؛ وقد حققه الدكتور نزار حمادي وطبعته مؤسسة المعارف بيروت سنة 2008.

الشيخ محمد بن مرزوق الحفيد التلمساني (ت 842هـ) صاحب كتاب "عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد"، وكان نموذجا لمن أتى من بعده(ابن مريم، 1908، ص211).

الإمام أبو الفضل قاسم العقباني (ت854هـ) وقد صنف مختصرا في أصول الدين لم يكمله، شرحه العلامة الرحالة أبو الحسن القلصادي (ت891هـ)؛ (القلصادي، ص107)/(ابن مريم، 1908، ص142).

الشيخ محمد بن العباس العبادي التلمساني(ت871هـ) ألّف "الدرة المشيدة في شرح المرشدة".

الإمام أبو العباس أحمد بن أبي يحيى الشريف االتلمساني(ت895هـ)؛ وقد وصفه أبو جعفر البلوي(ت938هـ) بالخطيب المتكلم (البلوي، 1983، ص149).

الإمام أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري(ت898هـ) صاحب النظم في علم الكلام المسمى "كفاية المريد في علم التوحيد" والشهير بالجزائرية، وهو منظومة لامية تزيد على 400 بيت، وقد شرحها الشيخ السنوسي وسمى شرحه "العقد الفريد في حل مشكلات التوحيد".

الإمام ابن زكري (ت900هـ) ألّف "محصل المقاصد مما به تعتبر العقائد"؛ وهي منظومة تزيد على 1550 بيت، وقام أبو العباس المنجور(ت995هـ)المدرس بجامع القرويين بتدريس شرحه لقصيدة أحمد بن زكري في التوحيد بعد صلاة صبح كل خميس وجمعة، وقذ سمى شرحه: "نظم الفرائد ومبدي الفوائد في شرح محصل المقاصد"(التازي، 1972، ج2ص377)، كما ألف بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب؛ وقد حققه الباحث عبد الله بن يوسف الشيخ سيديا في بحث لنيل الدراسات العليا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

الإمام أبو عبد الله بن مرزوق الكفيف(ت901هـ)، والذي كان له مشاركة في العقائد(البلوي، 1983، ص448).

الإمام ابن صعد (ت901هـ)، وقد اهتم بعلم التوحيد ودعا إلى التفكر في آيات الله وتدبرها وأنكر التشبيه والتجسيم(ابن صعد، ص94).

الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحوضي(ت910هـ) الإمام المتكلم؛ له نظم في العقائد سماه "واسطة السلوك في بيان كيفية السلوك"، ولشيخه السنوسي شرح على هذه العقيدة كما ذكر الملالي في المواهب القدوسية.

دور المناظرات العلمية:

وقد اشتهرت بعض المناظرات العلمية التي دار رحاها بين علماء تلمسان، ومن ذلك تمثيلا: أن الإمام أبا الفضل قاسم العقباني(ت854هـ) استحسن اجتماع الفقراء في مجلس شيخ يختارونه للتهليل والتسبيح والقراءة والأكل رد عليه الخطيب ابن مرزوق بكتاب في تفنيد ذلك (الونشريسي، 1981، ج11 ص48–73)، كما أثارت قضية يهود توات الرأي العام حتى جرت مناظرة بين الإمام أبي عبد الله بن أبي بكر العصنوني(وكان حيا سنة875هـ) وبين الإمام المغيلي(ت909هـ) الذي صنف كتابه مصباح الأرواح في أصول الفلاح، وراسل علماء تلمسان وغيرها..

ومن أشهر المناظرات العلمية العقدية الكبرى الخلاف العلمي الذي جرى بين عالمي تلمسان الحافظ أحمد بن زكري (ت900هـ) والإمام السنوسي(ت895هـ)؛ فقد وقع بينهما نزاع ومشاحنة في مسائل عدة أجبرت كلا منهما للرد على صاحبه.

وقد أشارت كتب التراجم (ابن مريم، 1908، ص41)/ (التنبكتي، 2000، ج1ص137) إلى هذه المناظرات التي جرت بينهما، ولكن بدون شرح فحواها وبيان محتواها؛ وأن هذه المساجلة التي جرت بينهما حول مسائل؛ منها: مسألة رؤية المعدوم، ومسألة الإيمان للمقلد؛ وهي المسألة التي سنخصصها بشيء من البسط.

مسألة إيمان المقلد:

يرى السنوسي وجوب تحصيل العلوم من طرقها المألوفة؛ وهو الاجتهاد في النظر والتزام التعب في الدرس؛ إذ إن المقلد لا يضرب له في الإسلام نصيب، فقد ناقش السنوسي قضية التقليد ورد على المقلدين بالأدلة البينة وأدحض حججهم (السنوسي، 1316هـ ، ص10)؛إذ يرى أن سلطان البرهان ينبغي أن يكون قائما لتوضيح الحق لجميع فئات المسلمين، فهو يقف موقفا معاديا من مسألة التقليد في العقيدة، فإن مجرد فهم معانيها هو المعتبر، لا مجرد حفظ حروفها ، والاقتصار على النطق بكلمتها من غير تحقيق لمعناها ولا معرفة في قلب لمدلولها، لا يكفي في حصول حقيقة الإيمان (السنوسي، ص19).

يقول السنوسي: "إن الإيمان أصله المعارف العقلية والأدلة البرهانية، ولا يكون عن تقليد، وإنما يكون عن نظر سديد"؛ وهذا الذي ذهب إليه جمهور أهل العلم، كالشيخ أبي الحسن الأشعري، والقاضي الباقلاني، وإمام الحرمين، والإمام مالك بن أنس على ما حكاه عنه ابن القصار(السنوسي، 2009، ص78).

وقد ذكر أبو العباس أحمد المنجور(ت955هـ) أن ابن زكري قصد بقوله: "بعض الناس" الإمام السنوسي لما قال في منظومته محصل المقاصد مما به تعتبر العقائد؛ وهو مخطوط بخط أحد

علماء توات:

قلت كعزو ذلك **بعض الناس** لمذهب الجمهور بالتباس

وإنما المنسوب للجمهور النفي للتقليد في المذكور

ومن كلام القاضي ما يخالف لا يوجد المؤمن إلا عارف

تأويله بكفر من لم يستدل معتقدا للحق غير معتدل

وقد اعترض ابن زكري على هذه الأدلة التي ساقها السنوسي وردها في منظومته الكبرى للعقائد محصل المقاصد، مخصصا 117بيتا؛ معترضا على السنوسي أن نبذ التقليد لم يقع الإجماع عليه؛ وقد ذكر أبو العباس المنجور نتيجة هذه المساجلة بأن المقلد ليس بمؤمن، ويصح نسبه إلى الأشعري والقاضي؛ منتصرا لرأي السنوسي الذي اتضحت إمامته وريادته في النهوض بالعقيدة الأشعرية.

مكانة السنوسي في توطيد الفكر الأشعري:

من أهم جوانب التجديد التي تميز بها السنوسي في دراسته لعلم التوحيد أمور؛ منها:

أ–تنظيره لمسائل علم الكلام واستفادته من علم المنطق:

الإمام السنوسي يعد بحق من كبار المنظرين لمسائل علم الكلام، والدليل على ذلك أمور:

–شهادات العلماء له، وحاصلها أنه أحد أهم من غربل علم الكلام، حتى اشتهر بلقب صاحب العقائد.

–استفادته من علم المنطق، فقد وظف السنوسي تفوقه البالغ في علم الميزان[المنطق]، واستثمره في علم الكلام، حتى أتت تصانيفه دقيقة، توحي بعظم علم صاحبها.

ب–**دلالة كتبه ومصنفاته على أنه منظر**، وهو شيء نلمسه من ناحيتين:

–من ناحية أسمائها وعناوينها، فإنه بمجرد ما يقع القارئ الباحث على أسماء بعض هذه الكتب يستطيع أن يستشف ما بداخلها من مادة تنظيرية ضخمة، ومن ذلك كتابه: نصرة الفَقير في الرد على أبي الحسن الصُّغير، والمقدمات في العقائد، وأم البراهين ونحوها، فكل هذه الكتب تدل بعناوينها على أنه أفاد من فن الجدل والمناظرة.

– من ناحية محتواها ومنهج صاحبها في عرض ما يريد عرضه فيها، وهذه أهم زاوية يطل منها على مادة السنوسي التنظيرية، ويتوصل منها إلى مستوى هذا التنظير وقيمته العلمية، فالمباشر لهذه الكتب والباحث فيها، يقف على عقلية السنوسي، ويلمس عصارة فكره وذكائه، وما أودعه فيها من رصيده في الرأي والاستدلال العقلي إلى جانب تحريره للأدلة النقلية ووجوه الاستدلال بها، والتصرف فيها وفق قواعدها الكلية.

وقد كان أبو العباس المقري(ت1041هـ) يقوم بتدريس العقيدة الصغرى والكبرى للسنوسي بجامع

القرويين؛ يقول الدكتور عبد الهادي التازي: "إن المذهب الأشعري ظل هو السائد في سائر المعاهد، كما ظلت كتب السنوسي عمدة العلماء والطلاب"(التازي، 1972، ج2ص422).

ويقول الدكتور أبو القاسم سعد الله: "وكانت مؤلفات محمد بن يوسف السنوسي في العقائد هي المصدر المحلي لدراسة علم الكلام، وقد اصطبغت هذه المؤلفات بالصبغة الصوفية، ورغم أن السنوسي كان يجمع بين علمي الظاهر والباطن، فإن شارحيه ومحشي ودارسي مؤلفاته قد مالوا تبعا لروح العصر إلى علوم الباطن، وقد أصبح كل من خالف هذا التيار يتهم بالتجسيم والاعتزال والإيمان بظواهر النصوص، ومن ثم غالبا يحكم عليه بالكفر والزندقة......إلى أن قال: سيطرت إذن مؤلفات محمد السنوسي في التوحيد سيطرة تامة على الدارسين لهذا العلم طيلة العهد العثماني، وإن لم يكن ذلك مقصورا في الجزائر وحدها، بل تجاوزها إلى معظم الأقطار العربية الإسلامية، وأهم مؤلفاته المعروفة حاليا باسم أم البراهين"(سعد الله، 1998، ج1ص92-93).

ويغلب على النظر أن العقيدة الصغرى كانت إلزامية على طول المرحلة التعليمية بالمغرب الإسلامي؛ إذ لا تكاد تجد مفكرا أو نظارا إلا وله في هذه العقيدة يد، والأمر ليس مقتصرا على العقيدة الصغرى فقط، بل مجموع عقائد السنوسي برمتها؛ فكثير من المجالس وحلقات الدرس والتدريس كانت إجمالا تصدر عن روح أشعرية سنوسية واضحة لا يقوى أحد على التشكيك فيها (أحنانة، 2007، ص206-207).

ويقول الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي: "وأما مغربنا هذا مع الأندلس، فلم يتسع فيه علم الكلام إلى هذا الحد، وإن كانوا يدرسونه على هذه الطريقة ويقلدونه، ويدينون باتباع رأي الأشعري، ولم يؤلفوا فيه كتابا له بال سوى الإمام السنوسي، فإنه ألف فيه على طريقة المشارقة عدة كتب شاعت وانتشرت في الشرق والغرب، وقررت في أكثر المعاهد الإسلامية كالأزهر" (الإبرهيمي،1997، ج5ص315) .

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث سنورد جملة من النتائج المتوصل إليها:

-من غرائب مجريات الأحداث، أن تدهور الوضع السياسي لدولة بني زيان في القرن التاسع الهجري لم يكن معرقلا لازدهار العلوم بتلمسان، بل كان عهد إنتاج وإسهام في شتى المجالات المعرفية.

-تظهر عناية الملوك والسلاطين بالعلم والعلماء من خلال تفعيل وتنشيط الحركة العلمية وإحياء دور التعليم، والعناية ببناء المدارس.

-أن انتشار المذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي قد مر بمراحل؛ بدءا بمرحلة التأسيس التي يؤمها دراس بن إسماعيل والإمام القلانسي، فمرحلة التمكين التي كان للقاضي الباقلاني الدور الأبرز فيها ومن بعده الجويني، وأخيرا مرحلة الترسيم والاستقرار زمن ابن تومرت والسلالجي والتي ختمت بالمرحلة السنوسية.

-أهمية المناظرات العلمية ودورها في توطيد أركان المذهب الأشعري في تلمسان.

-مساهمات علماء تلمسان البارزة في مجال العقيدة سواء من خلال مؤلفاتهم الكثيرة، أو من خلال حرصهم على تدريس مصنفات غيرهم في العقيدة الأشعرية.

-مكانة السنوسي في توطيد الفكر الأشعري؛ إذ إنه يعد بحق من كبار المنظرين لمسائل علم الكلام.

-مثل الفكر الأشعري منهج الاعتدال والوسطية، ولذلك كان ملاذا آمنا لكثير من العلماء على اختلاف مشاربهم الفقهية، وأضحى الفكر الأشعري يحتكم إليه ويعول عليه لضبط المرجعية، فتمكنت بلاد المغرب الإسلامي من أن تطبع تصوفها بطابعها الخاص التصوف الجنيدي السني، والذي استطاع أن يسير جنبا إلى جنب مع سيادة المذهب المالكي؛ مبتعدا في ذلك كله عن الغلو في الفكر والتطرف في السلوك؛ وهو الذي عبر عنه أحمد المقري(ت1041هـ) في منظومته إضاءة الدجنة (المقري،1954، ص3):

يقول أحمد الفقير المقري المغربي المالكي الأشعري

حيث أشار بقوله الفقير إلى جانب التصوف، وبقوله المغربي إلى بلد المنشأ، وبقوله المالكي إلى مذهبه الفقهي، وبقوله الأشعري أشار إلى مذهبه العقدي.

وهو الذي ديدن حوله ابن عاشر (ت1040هـ) في نظمه المسمى المرشد المعين إلى الضروري من علوم الدين:

في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد السالك

ومما انمازت به كتابات العلماء التلمسانيين كالعقباني والسنوسي وابن زكري في مجال العقيدة تذييل

المعارف وتسهيلها للناس على اختلاف مشاربهم وقدراتهم العقلية، وذلك بالترقي من حضيض التقليد إلى ذروة الاعتقاد واليقين، وإرشاد المسترشدين بإيضاح المحجة وإلزام المعاندين بإقامة الحجة، وحفظ قواعد الدين من أن تزلزلها وتشغب عليها شبه المبطلين وتحريف الغالين وتأويل الجاهين.

ومن التوصيات المقترحة أن المذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي لم ينل حقه ومستحقه من البحث والدرس؛ مما يستدعي اهتماما خاصا وشحذا لهمم الباحثين والمهتمين في سبيل بيان إسهامات علمائه الفكرية والحضارية، من خلال عقد ندوات وملتقيات علمية، هذا ما تيسر إيراده وتقرر إعداده، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

ثبت المصادر والمراجع:

1- ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي.(1995). التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس. دار الفكر للطباعة – لبنان.

2- الإبراهيمي، محمد البشير. (1997). آثار الإمام محمد البشير الإبرهيمي. ط.1 جمع وتقديم: د/ أحمد طالب الإبراهيمي. دار الغرب الإسلامي. بيروت.

3- ابن الأحمر، إسماعيل. (1972). بيوتات فاس الكبرى. دار المنصور. الرباط.

4- أحنانة، يوسف. (2007). تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي. ط2. منشورات وزارة الأوقاف.

5- البرزلي، أبو القاسم. (2002). جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا والأحكام. ط1. تح محمد الحبيب هيلة. دار الغرب الإسلامي. بيروت.

6- البلوي الواد أشي، أبو جعفر. (1983). ثبت البلوي. ط1. تح عبد الله العمراني. دار الغرب الإسلامي. بيروت.

7- بن داود، نصر الدين. (2010). "بيوتات العلم بتلمسان من القرن السابع إلى القرن العاشر". رسالة دكتوراه. جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر.

8- بوعزيز، يحيى. (د ت). تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م. دار هومة، الجزائر.

9- بونار، رابح. (2000). المغرب العربي : تاريخه وثقافته. ط3. دار الهدى ، عين مليلة. الجزائر.

10-التازي، عبد الهادي. (1972). جامع القرويين، المسجد الجامعة بمدينة فاس. دار نشر المعرفة. الرباط.

11-التنبكتي. (2000). نيل الابتهاج بتطريز الديباج. ط2. دار الكاتب، طرابلس. ليبيا.

12-التهامي، إبراهيم. (2006). الأشعرية في المغرب. ط1. دار قرطبة، الجزائر.

13-ابن تيمية، تقي الدين. (1991). درء تعارض العقل والنقل. ط2. تح: الدكتور محمد رشاد سالم. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

14-الجيلالي، عبد الرحمن. (1994). تاريخ الجزائر العام. ط7. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

15-الحفناوي، أبو القاسم. (2012). تعريف الخلف برجال السلف. ط1. تح خير الدين شترة. دار كردادة، الجزائر.

16- ابن خلدون، عبد الرحمن. (دت). المقدمة. دار الجيل، بيروت.
17- ابن خلدون، يحيى. (1911). بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد. ط1. تحقيق بيل بيير. طبعة فونتانا، الجزائر.
18- الذهبي. (1985). سير أعلام النبلاء. ط3. تح مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة، لبنان.
19- الراشدي، أحمد بن سحنون. (1973). مقدمة الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني. تحقيق المهدي. مطبعة البعث، قسنطينة.
20- ابن زكري، أحمد. (د ت). محصل المقاصد مما به تعتبر العقائد. مخطوط بخط أحد علماء توات.
21- الزركشي. (1966). تاريخ الدولتين : الموحدية والحفصية. المكتبة العتيقة، تونس.
22- ابن الزيات. (1984). التشوف إلى رجال التصوف. ط1. تح أحمد التوفيق. منشورات كلية الآداب، المغرب.
23- سعد الله، أبو القاسم. (1998). تاريخ الجزائر الثقافي. ط1. دار الغرب الإسلامي، لبنان.
24- السنوسي، محمد بن يوسف. (1316). عمدة أهل التوفيق والتسديد شرح عقيدة أهل التوحيد. مطبعة جريدة الإسلام بمصر.
25- السنوسي، محمد بن يوسف. (دت). شرح العقيدة الوسطى. تح السيد يوسف أحمد. دار الكتب العلمية، بيروت.
26- السنوسي، محمد بن يوسف. (2009). شرح أم البراهين. ط2. تح خالد زهري. دار الكتب العلمية، بيروت،
27- سيديا، عبد الله بن يوسف، (1994). "بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب للإمام ابن زكري دراسة وتحقيق". بحث لنيل الدراسات العليا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.
28- ابن صعد. (دت). روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين. تح يحي بوعزيز. عالم المعرفة، الجزائر.
29- العبدري، محمد. (2007). الرحلة المغربية. منشورات بونة، الجزائر.
30- عياض. (1967). ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك. تح أحمد بكير محمود. دار مكتبة الحياة، بيروت.
31- الغبريني. (1910). عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. تح د. محمد بن أبي شنب. المطبعة الثعالبية، الجزائر.
32- القلصادي. (2011). رحلة القلصادي. ط1. تح محمد أبو الأجفان. دار ابن حزم، بيروت.
33- ابن كثير. (1988). البداية والنهاية. ط1. تح علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
34- مخلوف، محمد. (1349). شجرة النور الزكية. ط1. المطبعة السلفية، مصر.
35- المراكشي. (1963). المعجب في تلخيص أخبار المغرب. تح محمد سعيد العريان. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.
36- ابن مريم التلمساني. (1908). البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. ط1. تح محمد بن أبي شنب. المطبعة الثعالبية، الجزائر.

37-المغيلي، عبد الكريم. (1968). مقدمة مصباح الأرواح في أصول الفلاح. تح: رابح بونار. الشركة الوطنية الجزائر.

38-المقري، أحمد. (1954). إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة. تح أبو الفضل الغماري. مكتبة القاهرة، مطبعة محمد عاطف.

39-المقري، أحمد. (1949). نفح الطيب. تح محمد محيي الدين عبد الحميد. طبعة القاهرة.

40-الملالي. (دت). المواهب القدوسية في المناقب السنوسية. مخطوط.

41-الميلي، المبارك. (1963). تاريخ الجزائر القديم والحديث. ط2. بيروت، لبنان.

42-الناصري، أبو العباس السلاوي.(1998). الاستقصا لأخبار المغرب الأقصا. تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب.

43-النجار، عبد المجيد.(1983). المهدي بن تومرت حياته وآراؤه. دار الغرب الإسلامي، بيروت.

44-الوزان، الحسن بن محمد " ليون إفريقيا". (دت). وصف إفريقيا. ط2. ترجمه محمد حجي ومحمد الأخضر. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2.

45-الونشريسي. (1981). المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل الأندلس والمغرب. ط1. أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف المغربية.